مسوده خطاب لجمال عبد الناصر فى أبناء المنوفية ..
"يجب أن يحمل الاحتلال عصاه على كاهله ويرحل أو يقاتل
حتى الموت دفاعا عن وجوده" فى ١٩٥٣/٢/٢٣[1]

أيها المواطنون

لقد حملنى قائدنا اللواء محمد نجيب تحياته لكم، وكان يود أن يشارككم فى هذا اليوم الوطنى الرائع، ولكنه كلفنى أن أبلغكم حرصه على زيارتكم قريبا باذن الله.

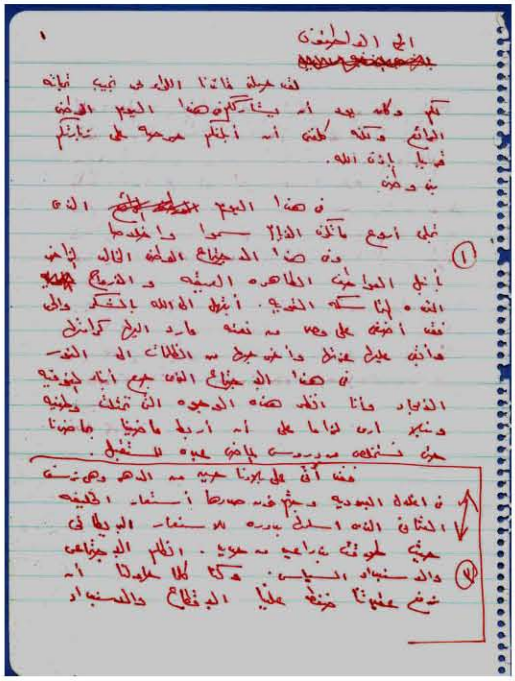

بنى وطنى

فى هذا اليوم الذى تجلى أروع ما تكون الأيام سموا وإخلاصا..

(١) فى هذا الاجتماع الوطنى الخالد، الزاخر بأنبل العواطف الطاهرة العميقة، والأرواح المتحدة المتماسكة القوية، أبتهل الى الله بالشكر والحمد؛ فقد أضفى على مصر من نعمته، فارد اليها كرامتها، وأبقى عليها عزتها، وأخرجها من الظلمات الى النور.

فى هذا الاجتماع، الذى جمع أبناء المنوفيه الأمجاد، وأنا أنظر هذه الوجوه التى تمثلت وطنية ونبلا، أرى لزاما على أن أربط ماضينا بحاضرنا؛ حتى نستخلص من دروس الماضى عبرة للمستقبل.

(٣) فقد أتى على بلادنا حين من الدهر وهى ترسف فى أغلال العبودية، وجثم فوق صدرها استعمار الخليفة العثمانى، الذى أسلمها بدوره للاستعمار البريطانى، حيث طوقت بذراعين من حديد؛ الظلم الاجتماعى والاستبداد السياسى. وكنا كلما حاولنا أن نرفع عقيرتنا، ضغط علينا الاقطاع والاستبداد.

(١) انظر الخطاب كما ألقاه الرئيس، المجموعة الكاملة لخطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر، ج ١١، من نوفمبر ١٩٥٢ الى ديسمبر ١٩٥٤، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠٨، ص ص ٦ -١١.

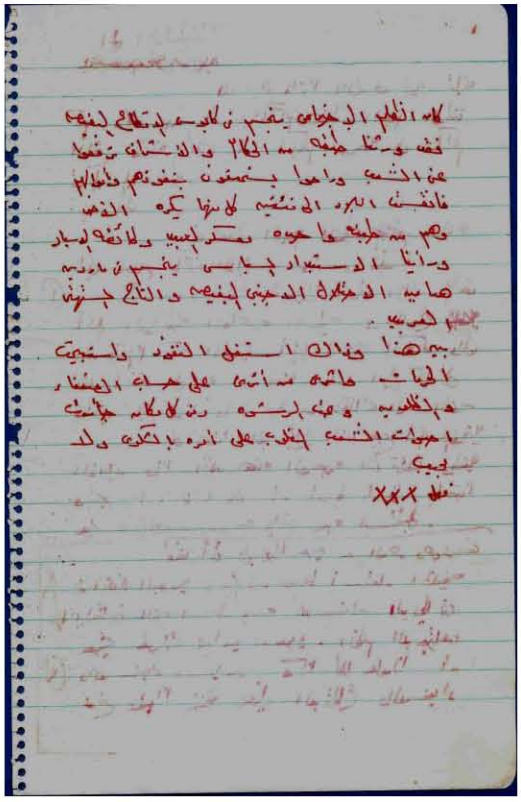

كان الظلم الاجتماعى يتجسم فى كابوس الاقطاع البغيض؛ فقد ورثنا طبقة من الحكام والأشراف، ترفعوا عن الشعب، وراحوا يستمتعون بنفوذهم وأموالهم؛ فانقسمت البلاد إلى فئتين كل منهما يكره الآخر، وهم من طينة واحدة؛ معسكر العبيد، وطائفة الأسياد.

ورأينا الاستبداد السياسى يتجسم فى ماردين هدامين؛ الاحتلال الأجنبى البغيض، والتاج المستهتر العربيد.

بين هذا وذاك؛ استغل النفوذ، واستبيحت الحرمات، وأثرى من أثرى على حساب الضعفاء والمظلومين، وعمت الرشوة، وفى كل مكان جاثت أصوات الشعب المغلوب على أمره بالشكوى، ولا مجيب.

فهل × × ×

(٦) فتتحشرج أنفاسنا وتتحول الصيحة الى شهقة مكتومة.

× × × فهل كان من الممكن أن تظل الأوضاع على هذه الحال؟

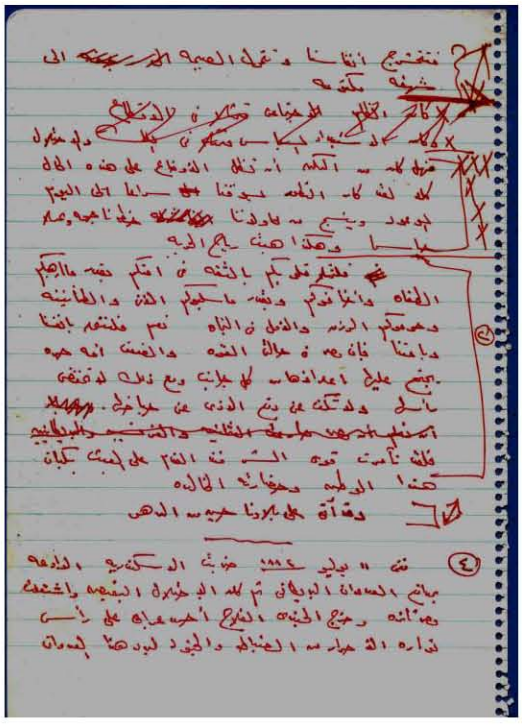

كلا.. لقد كان التطور يسوقنا سراعا إلى اليوم الموعود، وينسج من محاولاتنا خطة ناجحة، وعملا حاسما؛ وهكذا هبت رياح الحرية.

فلتمتلئ قلوبكم بالثقة فى أمتكم؛ بقدر ما أرهبكم الطغاة وأخافوكم، وبقدر ما سلبوكم الأمن والطمأنينة، وحرموكم الرزق والأمل فى النجاة. نعم.. فلنثق بأنفسنا وبأمتنا، فإن مصر فى حالتى القوة والضعف أمة حرة، يجتمع عليها أعداؤها من كل جانب، ومع ذلك لا تخفض رأسها، ولا تكف عن

دفع الأذى عن حياضها. فلقد تآمرت قوى الشر منذ القدم على العبث بكيان هذا الوطن، وحضارته الخالدة.

وقد أتى على بلادنا حين من الدهر...

---

(٤) ففى ١١ يوليو ١٨٨٢ ضربت الإسكندرية الوادعة بمدافع العدوان البريطانى، ثم كان الاحتلال البغيض، واشتعلت مصر ثائرة، وخرج الجندى الفلاح أحمد عرابى على رأس ثواره الأحرار من الضباط والجنود؛ ليرد هذا العدوان الطاغى، ولكن الثورة لم تحقق أهدافها، واكتفت بأن سجلت مولدها. لقد حددت الثورة أهدافها منذ اليوم الأول لمولدها؛ "لا بد من تحرير مصر. لا بد من جلاء قوات الاحتلال".

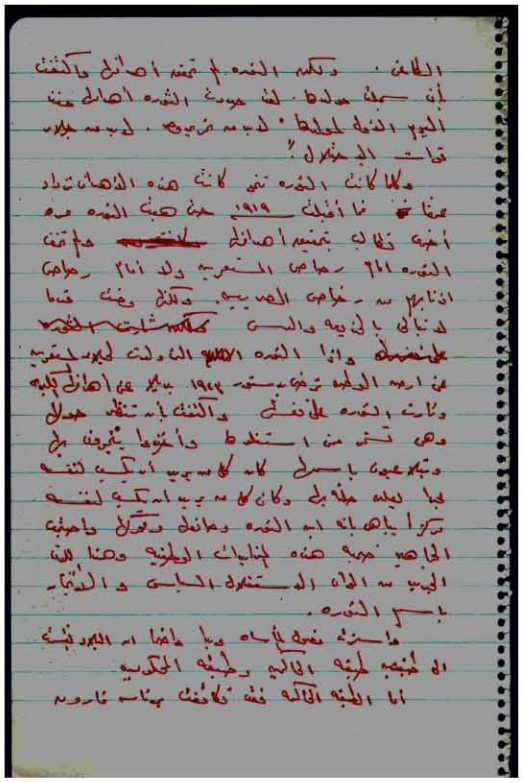

وكلما كانت الثورة تنمو، كانت هذه الأهداف تزداد عمقا.. فما أقبلت ثورة سنه ١٩١٩، حتى هبت الثورة مرة أخرى تطالب بتحقيق أهدافها. ولم تخف الثورة أمام رصاص المستعمرين، ولا أمام رصاص أذنابهم من رخاص المصريين، ولكنها مضت قدما لا تبالى بالخديعة والدس، وإذا الثورة التى ولدت لجلاء المستعمرين عن أرض الوطن، ترضى بدستور ١٩٢٣ بديلا عن أهدافها الكبرى. وثارت الثورة على نفسها، واكتفت بأن تنظر حولها وهى تستحى ممن استغلوها، وأخذوا يتجرون بها، ويتلاعبون باسمها. كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مجدا يعلن صلته بها، وكان كل من يريد أن يكسب لنفسه مركزا يباهى بأنه ابن الثورة وصانعها ومحركها. وأصبحت الجماهير ضحية هذه المزايدات الوطنية، وهذا اللون الجديد من ألوان الاستغلال السياسى، والاتجار باسم الثورة.

واستمرت فصول المأساة، وبدا واضحا أن البلاد انقسمت الى طبقتين؛ طبقة الحاكمين، وطبقة المحكومين.

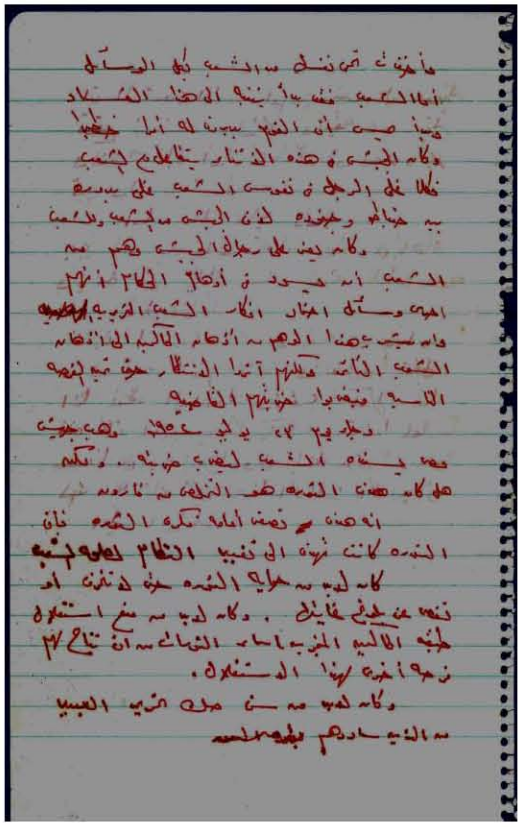

أما الطبقة الحاكمة؛ فقد تكاتفت – برئاسة فاروق – وأخذت تحمى نفسها من الشعب بكل الوسائل. أما الشعب؛ فقد بدأ يتنبه إلى هذا الفساد، وبدأ يحس أن القوم يدبرون له أمرا خطيرا. وكان الجيش فى هذه الأثناء يتفاعل مع الشعب؛ فكلما غلى المرجل فى نفوس الشعب، غلى بدوره بين ضباطه وجنوده؛ لأن الجيش من الشعب وللشعب.

وكان يعز على رجال الجيش، وهم من الشعب، أن يسود فى أوهام الحكام أنهم احدى وسائل إخماد أفكار الشعب التحريرية، وأن يتسرب هذا الوهم من أذهان الحاكمين الى أذهان الشعب الثائر، ولكنهم آثروا الانتظار حتى تحين الفرصة المناسبة؛ فيضربوا ضربتهم القاضية.

وجاء يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. وهب جيش مصر يسنده الشعب ليضرب ضربته، ولكن هل كان هدف الثورة هو التخلص من فاروق ؟

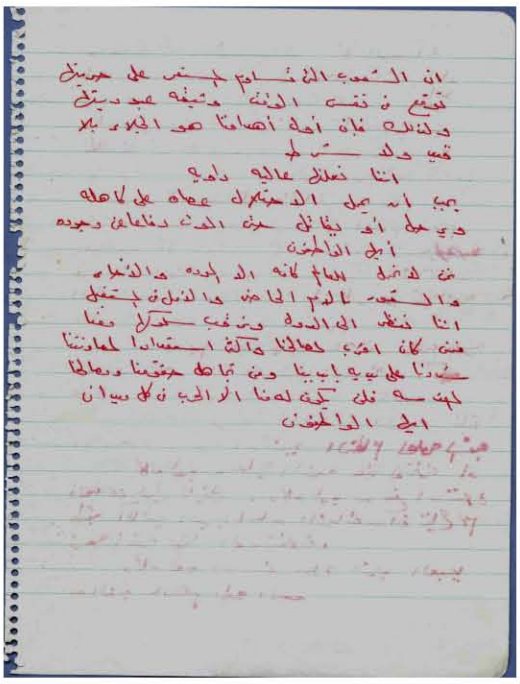

إنه هدف تصغر أمامه فكرة الثورة؛ فإن الثورة كانت تهدف الى تغيير النظام لمصلحة الشعب.

كان لا بد من حماية الثورة؛ حتى لا تنحرف أو تقصر عن بلوغ غايتها. وكان لا بد من منع استغلال طبقة الحاكمين؛ المتجرين بأسماء الثورات، من أن تتاح لهم فرصة أخرى لهذا الاستغلال.

وكان لا بد من سن صك تحرير العبيد من الذين سادوهم.

إن الشعوب التى تساوم المستعمر على حريتها، توقع فى نفس الوقت وثيقة عبوديتها؛ ولذلك فإن أول أهدافنا هو .. الجلاء بلا قيد ولا شرط.

إننا نعلنها عالية داوية..

يجب أن يحمل الاحتلال عصاه على كاهله ويرحل، أو يقاتل حتى الموت؛ دفاعا عن وجوده.

أيها المواطنون

نحن لا نحمل للعالم كافة الا المودة والإخاء، والشعور بآلام الحاضر، والأمل فى المستقبل. إننا ننظر الى الدول ونرقب سلوكها معنا، فمن كان أقرب لصالحنا وأكثر استعدادا لمعاونتنا؛ شددنا على يديه بأيدينا، ومن تجاهل حقوقنا ومصالحنا المقدسة؛ فلن يكون له منا إلا الحرب فى كل ميدان.

أيها المواطنون

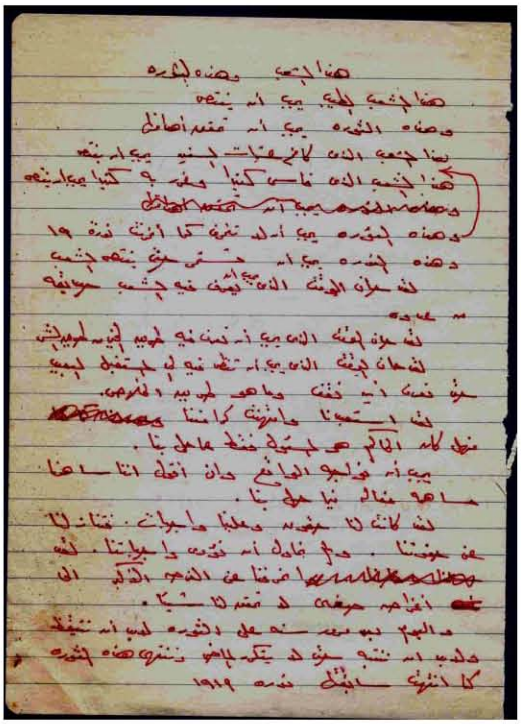

هذا الشعب وهذه الثورة .. هذا الشعب الطيب يجب أن ينتصر.. وهذه الثورة يجب أن تحقق أهدافها.

هذا الشعب الذى كافح عشرات السنين يجب أن ينتصر.. وهذه الثورة يجب أن لا تنحرف كما انحرفت ثورة ١٩.

هذا الشعب الذى قاسى كثيرا وغرر به كثيرا يجب أن ينتصر .. وهذه الثورة يجب أن تستمر حتى ينتصر الشعب.

لقد حان الوقت الذى يجب أن يعرف فيه الشعب صديقه من عدوه.

لقد حان الوقت الذى يجب أن نعرف فيه طريق الخير من طريق الشر.

لقد حان الوقت الذى يجب أن ننظر فيه الى المستقبل البعيد؛ حتى نعرف أين نقف؟ وما هو طريق الخلاص؟

لقد استعبدنا، وامتهنت كرامتنا.. فهل كان الحاكم هو المسئول فقط عما حل بنا؟

يجب أن نواجه الواقع، وإنى أقول إننا ساهمنا مساهمة فعالة فيما حل بنا.

لقد كانت لنا حقوق وعلينا واجبات، فتنازلنا عن حقوقنا، ولم نحاول أن نؤدى واجباتنا، لقد انحرفنا عن الغرض الأكبر الى أغراض صغرى لا تحقق لنا شيئا.

واليوم .. بعد مرور سنة على الثورة لا بد أن نتيقظ، ولا بد أن نتنبه؛ حتى لا يتكرر الماضى، وتنتهى هذه الثورة كما انتهت سابقتها .. ثورة ١٩١٩.

لقد قام هذا الشعب الطيب المكافح بثورة ١٩١٩؛ فقُتل من قتل، وشرد من شرد، واستغل بعض الناس هذه الثورة، كما استغلوا طيبة هذا الشعب؛ فانتكست الثورة، وغرر بالشعب، ولم تحقق الثورة أهدافها.

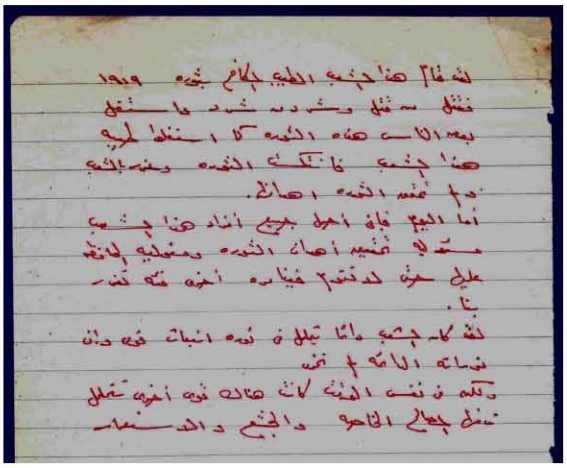

أما اليوم.. فإنى أحمل جميع أفراد هذا الشعب مسئوليه تحقيق أهداف الثورة، ومسئولية المحافظة عليها؛ حتى لا تقوم فينا مرة أخرى فئة تغرر بنا.

لقد كان الشعب دائما يتململ فى ثورة انبعاث قومى، وإن ثوراته الدائمة لم تخمد..

ولكن فى نفس الوقت كانت هناك قوى أخرى تتململ؛ تدفعها المصالح الخاصة والجشع، والاستعمار.

أيها المواطنون

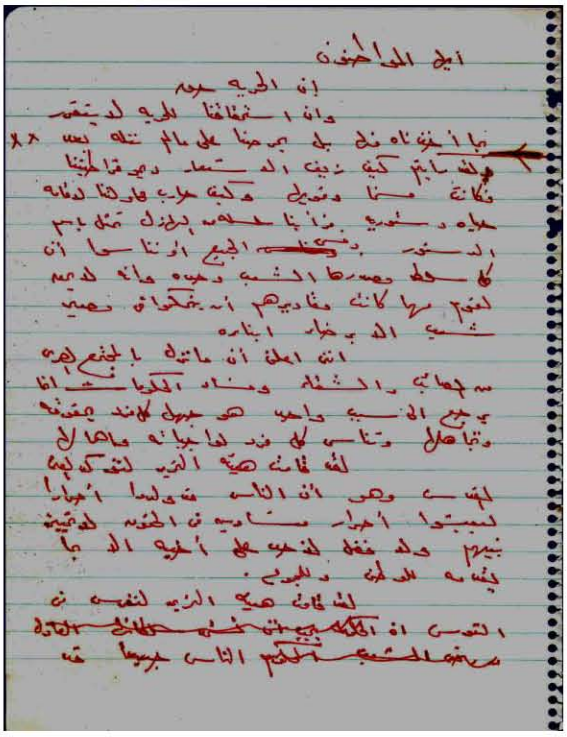

إن الحرية حق ..

وإن استحقاقنا للحرية لا يتقرر بما أخذناه منها، بل بحرصنا على ما لم ننله بعد. × ×

لقد رأيتم كيف زيف الاستعمار ديمقراطيتنا؛ فكانت مسخا وتمويها، وكيف حارب محاولتنا لإقامة حياة دستورية؛ فرأينا سلسلة من المهازل تمثل باسم الدستور، ونسى الجميع – أو تناسوا – أن كل سلطة مصدرها الشعب وحده، وأنه لا يحق لقوم، مهما كانت مقاديرهم، أن يتحكموا فى مصير شعب، الا برضاء أبنائه.

إننى أعلن أن ما نزل بالمجتمع المصرى من المصائب والشقاء وفساد الحكومات، انما يرجع الى سبب واحد؛ هو جهل كل فرد بحقوقه وتجاهلها، وتناسى كل فرد لواجباته وإهمالها.

لقد قامت هيئة التحرير لتؤكد المعنى المقدس وهو؛ أن الناس قد ولدوا أحرارا، ليعيشوا أحرار متساوين فى الحقوق، لا تمييز بينهم، ولا فضل لأحد على أخيه الا بما يقدمه للوطن وللمجموع.

لقد قامت هيئة التحرير لتغرس فى النفوس أن الناس جميعا قد خلقوا متساوين، وأن الخالق سبحانه وتعالى قد منحهم حقوقا لا تنتزع، ولتأمين هذه الحقوق تتكون من الناس حكومة؛ تستمد سلطانها العادل من رضى الشعب المحكوم.

أيها المواطنون

إن جوع الجماهير وعريها..

إن ذخائر أرضنا وإمكانياتها..

إن دواعى الحياة ومقتضياتها..

كل هذه تهيب بنا وتدعونا لأن ننهض كما نهض غيرنا، وأن نشيد نهضتنا على أسس سليمة.

إننا لا نبغى فقط نهضة عمرانية أو صناعية أو عسكرية، ولكننا نبغى نهضة بشرية.

أيها المواطنون

لقد قامت هذه الثورة على أكتاف قوم آمنوا – أول ما أمنوا – بالمحبة والمودة؛ فهى ثورة إنسانية لم تقم على الكراهية والعدوان.

وإننا نطالب الشعب فى شخصكم أن يطرح كل عوامل الحقد والكراهية، فنحن نكافح الآن من أجل حريتنا ومقوماتنا؛ وبذلك لن تستطيع قوة – بالغة مهما بلغت – أن تقف فى طريقنا.

يجب أن لا نسمح بأن يكون المستقبل صورة لما كان عليه الماضى، فواجبنا أن نحارب عوامل الشر فى مجتمعنا ونفوسنا..

علينا أن نطهر نفوسنا من خبائث عهد الاحتلال البغيض؛ فلن تكون وشاية ولا نميمة بعد اليوم، ولا تتفاعل عوامل الحقد فى كياننا..

يجب أن يعرف كل فرد حقوقه الطبيعية المقدسة، التى يجب أن لا تمتد إليها يد المساومة والعبث.

← × فعلينا أن نتعلم كيف نختار من يمثلوننا، وأن نتعلم – فى نفس الوقت – أنه واجب مقدس أن نسحب ثقتنا ممن يعجزون عن تمثيلنا.

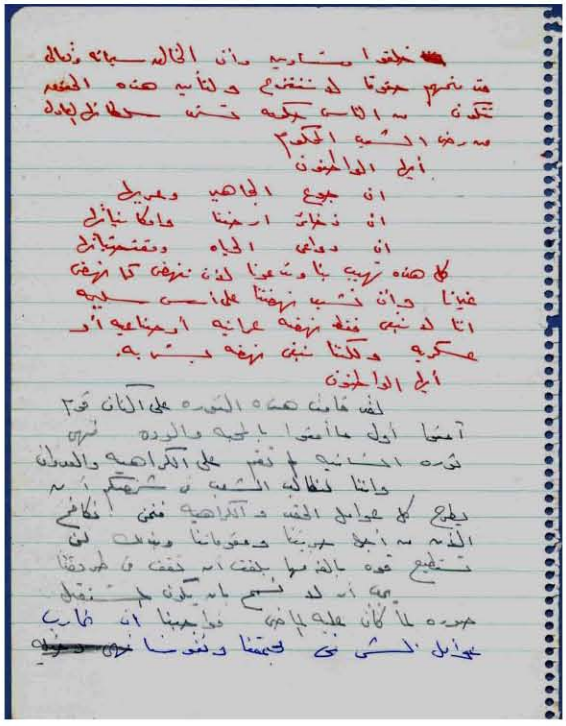

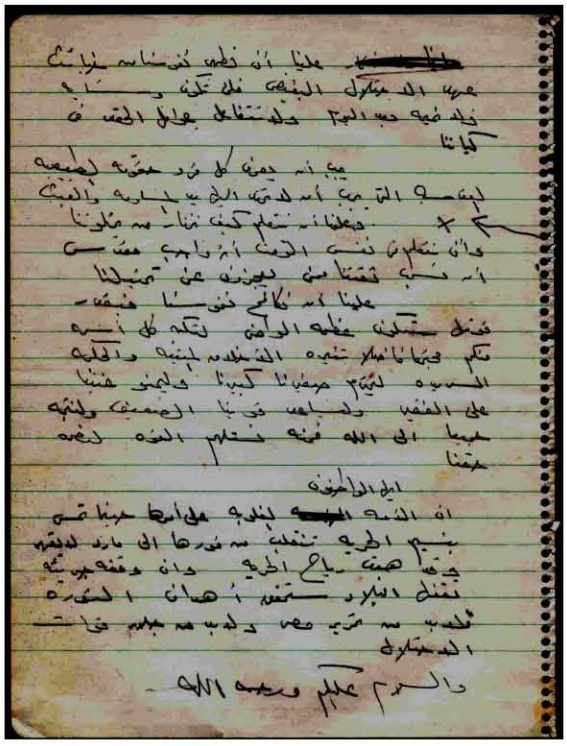

علينا أن نكافح نفوسنا؛ فبقدر قوتها ستكون عظمة الوطن.. لتكن كل أسرة منكم مجتمعا فاضلا تنيره الأخلاق المتينة والحكمة السديدة، ليحترم صغيرنا كبيرنا، وليحنو غنينا على الفقير، وليساعد قوينا الضعيف، ولنتجه جميعا الى الله .. فمنه نستلهم القوة لنصرة حقنا.

أيها المواطنون

إن الأمة المغلوبة على أمرها، حينما تحس بنسيم الحرية، تنقلب من فورها الى مارد لا يقهر. وقد هبت رياح الحرية.. وإن وقفة جريئة تقفها البلاد، ستحقق أهداف الثورة؛ فلا بد من تحرير مصر، ولا بد من جلاء قوات الاحتلال.

والسلام عليكم ورحمة الله.

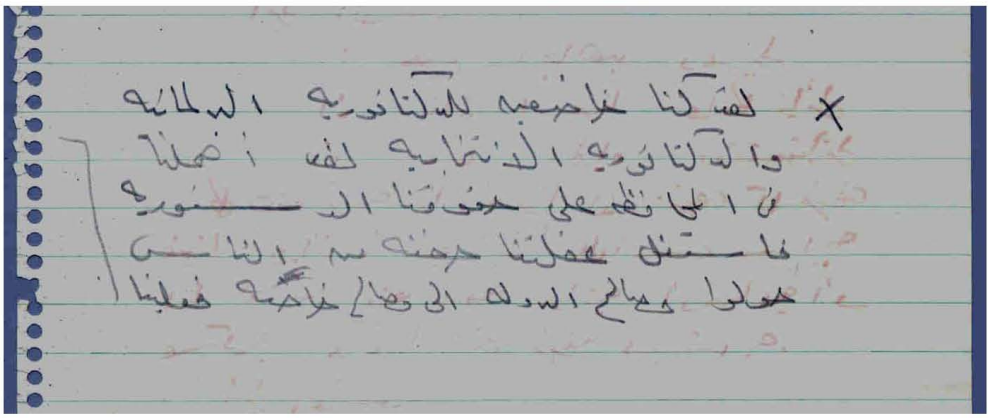

× لقد كنا خاضعين للديكتاتورية البرلمانية والدكتاتورية الانتخابية .. لقد أهملنا فى المحافظة على حقوقنا الدستورية؛ فاستغل غفلتنا حفنة من الناس حولوا مصالح الدولة الى مصالح خاصة فعلينا... ←

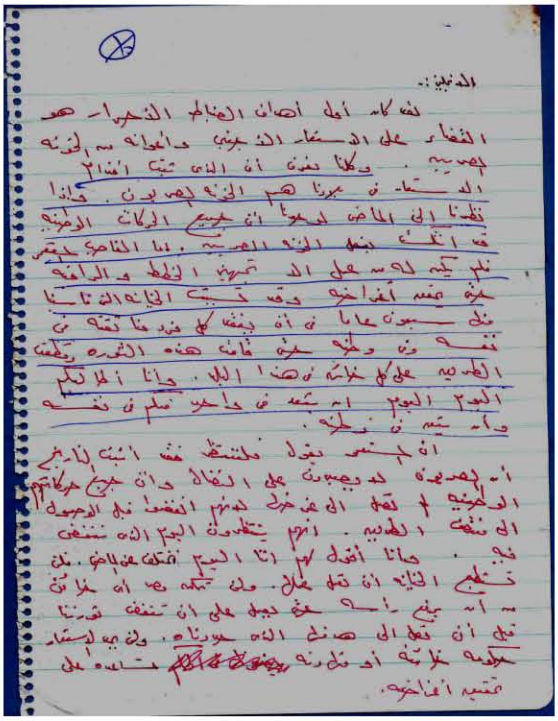

الانجليز:- ×

لقد كان أول أهداف الضباط الأحرار هو القضاء على الاستعمار الأجنبى وأعوانه من الخونة المصريين. وكلنا نعرف أن الذى ثبت أقدام الاستعمار فى بلادنا هم الخونة المصريون. واذا نظرنا إلى الماضى، لوجدنا أن جميع الحركات الوطنية قد انتكست بفعل الخونة المصريين. أما الغاصب المستعمر، فلم يكن له من عمل الا تجهيز الخطط والمراقبة حتى يحقق أغراضه. وقد تسببت الخيانة التى قاسينا منها سبعون عاما، فى أن يفقد كل فرد منا ثقته فى نفسه وفى وطنه؛ حتى قامت هذه الثورة وقطعت الطريق على كل خائن فى هذا البلد. وأنا أطالبكم اليوم أن يثق [كل] واحد فيكم فى نفسه، وأن يثق فى وطنه.

إن المستعمر يقول: فلننتظر.. فقد أثبت التاريخ أن المصريين لا يصبرون على النضال، وأن جميع حركاتهم الوطنية لم تصل الى غرضها؛ لأنهم انفضوا قبل الوصول الى منتصف الطريق. إنهم ينتظرون اليوم الذى ننفض فيه، وأنا أقول لهم: إننا اليوم نختلف عن الماضى، فلن تستطيع الخيانة أن تعمل عملها، ولن تمكن مصر أى خائن من أن يرفع رأسه؛ حتى يعمل على أن تنفض ثورتنا قبل أن تصل إلى هدفها الذى حددناه. ولن يجد الاستعمار حكومة خائنة أو متهاونة تساعده على تحقيق أغراضه.